الصاعقة الثانية والخمسون: الحزن يقلقُ والتجملُ يردعُ(*)

الحـــزن يُقْلِقُ والتـــجـــمّلُ يردَعُ ... والدمْعُ بينهُـــمـــا عـــصيٌّ طيّعُ

يتنازعـــان دمـــوعَ عينٍ مـــسـهَّـدٍ ... هـذا يجيءُ بـهـــــا وهـذا يرجـعُ

النومُ بعـــدَ أبي شـــجـــاعَ نافـــرٌ ... والليلُ مـــعيٍ والكواكبُ ظلّعُ(١)

إني لأجبنُ عن فـــراقِ أحـــبـــتي ... وتحسّ نفـسي بالحِـمـامِ فـأشـجعُ

ويزيدني غـضبُ الأعـادي قـسـوةً ... ويلمُّ بي عـتبُ الصـديقِ فـأجـزعُ

تصـفُـو الحـيـاةُ لجـاهلٍ أو غـافلٍ ... عـمـا مـضى فـيـهـا ومـا يتـوقّعُ

ولمن يُغـالطُ في الحـقـائقِ نفـسَـهُ ... ويسـومُـهـا طلبَ المحالِ فـتطمعُ

أينَ الذي الهَـرَمـانِ منْ بنيـانِه، ... مـا قـومُـه، مـا يومُـه، مـا المصرعُ؟

تتـخلفُ الآثارُ عنْ أصـحـابِهـا ... حـينًا ويدركُـهـا الفناءُ فـتـتـبعُ

لم يُرضِ قلبَ أبي شـجـاعٍ مـبلغٌ ... قـبلَ المماتِ ولم يسـعْـهُ مـوضعُ

كـنّـا نـظـنّ ديـارَهُ مـمـلـوءةً ... ذهبًـا فـمـاتَ وكلّ دارٍ بلقعُ

وإذا المكـارمُ والصـــوارمُ والقـنا ... وبناتُ أعـوجَ كلُّ شيءٍ يجـمعُ(٢)

المجـدُ أخـسـرُ والمكارمُ صـفـقـةً ... من أنْ يعـيشَ لهـا الهـمـامُ الأروعُ

(*) مناسبة القصيدة: توفي أبو شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاثمائة (٩٦١م) فقال يرثيه بعد خروجه منها.

(١) الظلّع: التي تغمز في مشيها، وهو شبيه بالعرج.

(٢) بنات أعوج: خيل تنسب إلى أعوج، وهو فحل مشهور من خيل العرب.

والناسُ أنزلُ في زمـــانِكَ منزلًا ... من أنْ تعـايشـهُمْ وقـدرُكَ أرفعُ

برّدْ حـشـايَ إن استطعتَ بلفظةٍ ... فلقـدْ تضـرّ إذا تشـاءُ وتنفعُ

مـا كـانَ منكَ إلى خليلٍ قـبلَهـا ... مـا يسـتـرابُ به ولا مـا يُوجعُ

ولقـدْ أراكَ ومـا تلمّ ملمـةٌ ... إلا نفـاها عنكَ قلبٌ أصـمعُ[1]

ويدٌ كـأنّ نوالَهـا وقـتـالَهـا ... فـرضٌ يحقُّ عليكَ وهو تبـرّعُ

يـا منْ يبـدّلُ كـلّ يـوم حُلّة ... إني رضـيتُ بحلـةٍ لا تُنـزعُ

مـا زلتَ تخلعُـها على منْ شاءَها ... حـتى لبـستَ اليـومَ مـا لا تخلعُ

مـا زلتَ تدفعُ كلَّ أمـرٍ فـادحٍ ... حـتى أتى الأمـرُ الذي لا يُدفعُ

فظللْتَ تنظرُ لا رمـاحُك شـرّعٌ ... فـيـمـا عـراكَ ولا سـيـوفُك قطّعُ

بأبي الوحـيـدُ وجـيـشُـهُ مـتكاثرٌ ... يبكي ومنْ شـرِّ السـلاحِ الأدمعُ

وإذا حصلتَ منَ السلاحِ على البكا ... فـحـشـاكَ رُعتَ به وخـدَّك تقـرعُ

وصلتْ إليكَ يدٌ سـواءٌ عندها الـ ... ـبـازي الأشـيـهبُ والغـرابُ الأبقعُ

من للـمـحـافلِ والجـحـافلِ والسـرى ... فـقـدَتْ بـفـقـدِكَ نيِّـرًا لا يطلُعُ

ومنِ اتخذتَ على الضيوفِ خليفةً ... ضـاعـوا ومـثلُكَ لا يكادُ يضـيّعُ

قـبـحًـا لوجـهكَ يا زمـانُ فـإنه ... وجـهٌ لـه منْ كلِّ قـبـحٍ بـرقعُ

أيموتُ مـثلُ أبي شـجـاعٍ فـاتكٍ ... ويعـيشُ حـاسـدُهُ الخصيُّ الأوكعُ[2]

---

(١) الأصمع: الفطن المتيقّظ.

(٢) الأوكع: اللئيم.

أيدٍ مقطعةٌ حوالي رأسِهِ وقفًا يصيحُ بها : ألا مَنْ يصفعُ
أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبقيتَهُ وأخذتَ أصدقَ منْ يقولُ ويسمعُ
وتركتَ أنتنَ ريحةٍ مذمومةٍ وسلبتَ أطيبَ ريحةٍ تتضوعُ
فاليومَ قرّ لكلّ وحشٍ نافرٍ دمُهُ وكانَ كأنّه يتطلعُ
وتصالحتْ ثمرُ السياط وخيلُهُ وأوتْ إليها سوقُها والأذرعُ
وعفا الطرادُ فلا سنانٌ راعفٌ فوقَ القناةِ ولا حسامٌ يلمعُ
ولّى وكلُّ مخالمٍ ومنادمٍ بعدَ اللزومِ مشيِّعٌ ومودِّعُ[1]
منْ كانَ فيه لكلِّ قومٍ ملجأٌ ولسيفِهِ في كلِّ قومٍ مرتعُ
إنْ حلَّ في فرسٍ ففيها رَبُّها كسرى تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ
أو حلّ في رومٍ ففيها قيصرٌ أو حلَّ في عربٍ ففيها تبَّعُ
قد كانَ أسرعَ فارسٍ في طعنةٍ فرسًا ولكنّ المنيَّةَ أسرعُ
لا قلّبتْ أيدي الفوارسِ بعدهُ رُمحًا ولا حملتْ جوادًا أربعُ

(١) المخالم: الصديق.